المحاضرة الثانية

**النقد البنيوي:**

لقد ارتبطت البنيوية في النقد برومان جاكبسون بصفة خاصة وبالشكلانيين الروس بصفة عامة فعلى (...الرغم من أن الجهود المهمة للعالم السويسري **فرديناند دي سوسير** في مجال اللسانيات تعود إلى بدايات هذا القرن، إلا أن قطف ثمرات هذه الجهود لم يتحقق إلا بعد زمن من وفاته، إذ يرجع شيوع النزعة البنيوية مثلا إلى عام 1928، وهو العام الذي قدَّم فيه جاكبسون واثنان من العلماء الروس بحثهم العلمي المعمق على المبادئ العامة للبنيوية في مؤتمر دولي لعلوم اللسان عُقد في لاهاي)[[1]](#footnote-1)، وقد كان الشكلانيون الروس هم أول من مارس التطبيق الفعلي للسانيات سوسير حيث وجدوا المجال خصبا للتنظير انطلاقا من مفاهيمه حول مفهوم اللغة للتنظير لفهم العمل الأدبي.

وانطلاقا مما فات فقد أصبحت البنيوية منهجا نقديا جديدا، إذ: (تعد البنيوية منهجا وصفيا، يرى في العمل الأدبي نصا منغلقا على نفسه، له نظامه الداخلي الذي يكسب وحدته، وهو نظام لا يكمن في ترتيب عناصر النص كما هو شائع، وإنما يكمن في تلك الشبكة من العلاقات التي تنشأ بين كلماته وتنظيم بنيته...من هنا ركزت البنيوية متأثرة بنموذجها اللغوي، اعتماما في البحث عن بنية العمل الأدبي، تلك البنية التي تكشف عن نظامه، بطريق تحليليه تحليلا داخليا، مؤكدة أهمية العلاقات الداخلية والنسق الكامن في كل معرفة علمية، وبهذا تكون البنيوية مكملة لجهود الحركات النقدية السابقة، كالمدرسة الشكلية والنقد الجديد والمدارس اللغوية السابقة، مؤكدة رفضها المقاربات(البيوغرافية) والمؤثرات الخارجية)[[2]](#footnote-2)، واستنتاجا مما سبق تظهر البنيوية أنها تهتم بدراسة النص الأدبي كبنية مغلقة معزولة عن السياقات الخارجية من زمان ومكان و أحداث خارجية تحف به، وتدرس اللغة على أنها بنية مشكلة من شبكة من العلاقات الدلالية والصوتية والصرفية والنحوية، إذ أنها ترى (...أن الأدب هو صيغة متفرغة عن صيغة أكبر، أو هو بنية ضمن بنية أشمل هي اللغة(أي الكتابة كمؤسسة اجتماعية)، تحكمه قوانين وشيفرات وأعراف محددة تماما كما هي اللغة كنظام، ويصبح الأدب من هذا المنظور نوعا من الممارسة الفعلية مقارنة مع الكتابة عموما، وبدوره يصبح هو بالنسبة لأنواعه نظاما لغويا وتتحول أنواعه بدورها إلى ممارسات فعلية يهيئ لها الأدب قوانين وأنظمة تجعل هذه الأنواع تأخذ صفاتها النوعية والأدبية...فالبنيوية تسعى إذن إلى تأسيس مثال أو أنموذج نظام الأدب نفسه على أنه هو المرجع الخارجي للأعمال الفردية. وما محاولتنا دراسة وتحديد مبدأ البنية التي تنتظم الأعمال الأدبية عموما(وليس العمل الفردي) والعلاقات القائمة بين مختلف فروع الحقل الأدبي، ما هذه المحاولة إلا محاولة تأسيس منهجية علمية لدراسة الأدب)[[3]](#footnote-3)، فالبنيوية إ\ن هي منهج نقدي صارم يركز على التقنين والتجريد وذلك بتطبيق المعايير التي جاء بها سوسير بإقامة النماذج العليا التي يحتكم إليها الأدب مستمدة خصائصها من اللسانيات مهملة في ذلك كل العناصر التي لا تحتكم للضوابط والقوانين التي جاءت بها.

ويمكننا تعريف البنية في حدود ارتباطها بالشكل بأنها (مجموعة تحويلات تحتوي على قوانين كمجموعة تبقى أو تتغير بلعبة التحويلات نفسها دون ان تتعدى حدودها أو أن تستعين بعناصر خارجية، فالبنية تتألف من عناصر تقوم بينها جملة من العلاقات هذه الأخيرة تخضع لقوانين التحويلات وهي منغلقة على نفسها ولا تستعين بعناصر خارجية)[[4]](#footnote-4)

وقد اشترط البنيويون ثلاث سيمات كحدود أولية للمعرفة لخصها **بياجيه** في:

1. الكلية Totalité
2. التحويلات Transformations
3. الضبط الذاتي Auto régulation

أما بالنسبة للسمة الأولى ألا وهي الكلية، فيقصد بها أن (البنية لا تتألف من عنار خارجية تراكمية مستقلة عن الكل بل هي تتكون من عناصر داخلية خاضعة للقوانين المميزة للنسق من حيث هو نسق)[[5]](#footnote-5) أي أن وحدات البنية تتسم بالكمال الذاتي وليست مجرد وحدات جُمعت قسرا وتعسفا، إنها أجزاء تتبع أنظمة داخلية من شأنها تحديد طبيعة الأجزاء وطبيعة اكتمال البنية ذاتها، وهكذا تضيف هذه القوانين على البنية خصائص اشمل من خصائص الأجزاء التي تتكون منها البنية، كما أن هذه الأجزاء تكتسب طبيعتها وخصائصها من كونها داخل هذه البنية.[[6]](#footnote-6)

وإن جئنا للسمة الثانية ألا وهي التحويلات فهي تعني (المجاميع الكلية التي تنطوي على ديناميكية ذاتية تتألف من لسلسة من التغيرات الباطنية التي تحدث داخل النسق او المنظومة خاضعة للوقت نفسه لقوانين البنية الداخلية دون التوقف عن أي عوامل خارجية)[[7]](#footnote-7)، فالبنية بهذا الأساس يمكننا القول عنها أنها (ليست وجودا قارا ومستقرا وإنما هي متحركة دائما إذ إن قوانينها لا تعمل فقط كقوانين بناء وتكوين سلبي وإنما تقوم هذه القوانين بتحويل البنية ذاتها إلى تحويل بنية فاعلة تسهم بدورها في التكوين وفي البناء وفي تحديد القوانين ذاتها)[[8]](#footnote-8)

وهكذا أوجب التعامل مع البنية على أساس اعتبارها أداة إجرائية ذات لغة تحويلية بإمكانها التأثير في الإطار العام الذي تحدده الدلالة وهذا يعني أن النظام اللغوي السكوني أو المتزامن ليس ثابتا، فهو يقبل الابتكارات تبعا لحاجات محددة، وأن اللغة تتطور بالكلام، وأن المجاميع اللغوية تنطوي على ديناميكية ذاتية تتألف من سلسلة من التغيرات الباطنية التي تحدث داخل النسق خاضعة في نفس الوقت إلى قوانين البنية الداخلية وهذا مفاده ان البنية لا يمكن أن تظل في حالة سكون مطلق بل هي تقبل دائما التغيرات)[[9]](#footnote-9)

ويضيف **بياجيه** أن كل البنيات تشكل مجموعة من التحويلات وإنما ينبغي التمييز بين العناصر التي تخضع لهذه التحويلات والقوانين التي تضبط البنية وهذه القوانين هي الثانية والمهم في البنيوية أن ترسى على أساس لا زمنية، أي لا تتوقف على عوامل خارجية وما عدا ذلك فهي تقبل التغيرات التي تفتضيها العلاقات)[[10]](#footnote-10)

أما السمة الثالثة والتي هي الضبط الذاتي والمقصود بها أن البنية تستطيع أن تضبط نفسها بنفسها للمحافظة على ذاتها في شكل من الانغلاق، فالبنية تقوم على ثنائية معقدة تنبع من التمايز بين العناصر يبدو ذلك في كل ظاهرة، في نص أدبي وفي قصة وفي اية بنية يتكرر هذا النسق عددا من المرات ثم تنحل هذه الظاهرة وتختفي وبهذه الصفة يكتسب النسق طبيعته الجدلية التي تنبع من التمايز بين العناصر أو بين البنيات وذلك بتكرار العنصر في حيز معين وبمقدار معين لا يتعداه)[[11]](#footnote-11) أي بعبارة أخرى يتمثل الضبط الذاتي في كون أن ( كل بنية بإمكانها تنظيم نفسها من تلقاء نفسها فلا تعتمد على مرجع خارجي لتبرير وتعليل عملياتها وإجراءاتها التحويلية، فالتحولات تعمل دائما على صيانة القوانين الداخلية ودعمها تلك التي تخلق وتبرر هذه التحولات وتعمل كذلك على إغلاق النظام كي لا يحيل أو يرجع إلى غيره من الأنظمة)[[12]](#footnote-12)

بناءً على السمات الثلاث السابقة تبدو البنية قانونا(يحكم تكون المجاميع الكلية من جهة ومعقولية تلك المجاميع من جهة أخرى، ومعنى هذا أن بيت القصيد في كل بنية- إنما هو- وحدة تنوعاتها أو تغيراها المتفاضلة)[[13]](#footnote-13)

ولعل هذه التغيرات هي التي فتحت المجال النقدي لدى دي سوير يثريه بمقولاته الهامة التي ظلت مسيطرة على البنيوية ردحا من الزمن.

1. **ثنائية اللغة والكلام:**

حيث بين **دوسوسير** في معرض كلامه حول هذه الثنائية أن العلاقة بينهما جدلية، فاللغة حسبه كعلبة الشطرنج أجزاء متجاورة تربط بها مسارات محددة تنم عن علاقات بها نسق متماسك فهي تبدو (كمجموعة من القواعد والقوانين المحددة التي تهيئ حدوث الممارسة الفعلية لعملية القول وإن كانت عملية القول لا تحدها حدود فإن اللغة كنظام هي مجموعة من القوانين تقوم على تنظيم وتحديد هذه العملية حتى تصبح قابلة للإدراك)[[14]](#footnote-14) ومن هذا المنطلق ميز **دو سوسير** بين ثلاثة مفاهيم للغة.

**المفهوم الأول:**

هو اللغة (بشكل عام أي ما هو طبيعي في الإنسان أو ملكه الإنسان وقدرته على خلق الإشارات والعلامات واختراعها)[[15]](#footnote-15) وهذه الملكة صفة خاصة بالإنسان نقبلها باعتبار العقل الواعي.

**المفهوم الثاني:**

هو اللغة (كنظام قائم مثل اللغة العربية أو الفرنسية)[[16]](#footnote-16)، فلكل لغة ألفاظها وقوانين بنائها كالأصوات والتركيب والاشتقاق.

**المفهوم الثالث:**

هو الكلام أو ما يعرف بـ (الحدث اللغوي الذي يمارسه متكلم لغة ما)[[17]](#footnote-17)

1. **ثنائية الدال والمدلول:**

(حيث يرى دو سوسير أن العلامة الالسونية لا تربط شيئا باسم بل تربط تصورا بصورة سمعية، وليست الصورة السمعية هي التصويت المادي الذي هو شيء فيزيائي صرف، بل هي التمثل الذي تهبنا إياه حواسنا)[[18]](#footnote-18)ومن هنا يستخدم دو سوسير مصطلح الدال والمدلول بدلا من التصور والصورة السمعية، ويخلص إلى اعتباطية العلاقة الجامعة بين الدال والمدلول ويضرب لنا مثلا كلمة **أخت** ما الذي يربطها بتعاقب الأصوات (أ، خ، ت) التي تقوم مقام الدال بالنسبة لها.

1. **ثنائية التزامن والتعاقب:**

تعد هذه الثنائية من المصطلحات المستعملة في البحث البنيوي حيث يتجلى المفهوم الزمني بدراسة الظاهرة اللغوية عبر تطورها التاريخي في حيز زمني معين ( بصرف النظر عن حالة اللغة قبل وصولها إلى تلك الحالة المدروسة وبصرف النظر أيضا عن حالتها بعدها كان ينظر الباحث مثلا في مدى تخصيص اللغة العربية العاقل، ويميز العاقل باسمين موصولين متميزين "ما، من" انطلاقا من النص القرآني لينتهي إلى أن العربية في ذلك الحيز الآني من تاريخها كانت لا تميز البتة بين العاقل فتخصه ب "من: وغير العاقل لتخصه بـ" ما" )[[19]](#footnote-19)

أما فيما يخص التعاقب فينظر إليه باعتباره تخلل البنية أو زمن تهدم العنصر الذي يُعبر عنه أحيانا بانفتاح البنية عبر الزمن، وبعبارة أخرى فالتعاقب(هو دراسة العلائق بين عناصر متعاقبة يحل فيها كل عنصر محل العنصر الآخر بمرور الزمن)[[20]](#footnote-20)

1. **ثنائية التشابه والاختلاف:**

حيث يرى دو سوسير أن النظام اللغوي مبني على ثنائية التشابه والاختلاف مثل قولنا: (لا ادري، ولا تقل هذا) فكلا العبارتين تشمل على العنصر (لا) ولكن (لا) في الأولى غيرها في الثانية وإن تشابهتا، ومن منظوره ان هذا يعني أن النظام اللغوي ما هو إلا عبارة عن (مجموعة من الفوارق الصوتية المتآلفة مع مجموعة أخرى من الفوارق الفكرية وعن المقابلة بين هذه وتلك يتولد نظام من القيم الخلافية وهذا النظام هو الرابط بين الدال والمدلول وهو الشيء الذي تقدمه اللغة)[[21]](#footnote-21) .

**مآخذ البنيوية:**

1. لا يفهم الأدب من خارجه لأن النص وحدة منغلقة يجب دراستها من الداخل والبحث عن قوانينها وعمل أبنيتها
2. النص الأدبي هو جوهر النقد لأنه نتاج لغوي قبل كل شيء ولا ينبغي دراسته إلا من هذه الوجهة بوصفه بكة معقدة من العلاقات ذات الدلالة التي تقوم بينها، وطبيعة القوانين التي تحكمها فهو يركز على الجانب اللغوي في التحليل ولا يتعمق في الدلالات والمعاني)[[22]](#footnote-22)
3. أصبحت البنيوية نزعة متعالية تلغي التاريخ وتغترب بالإنسان في سجون النسق وهذا عيب عليها في كونها تخلع ثوب الإنسانية عن الأعمال الأدبية والابداعية.
4. المنهج البنيوي يحول النقد الموضوعي إلى تحليل وصفي آلي ذو آفاق ضيقة تنحصر في حدود البنيات اللغوية
5. ينحصر التحليل البنيوي على التعميم والأخذ بالقوالب الجاهزة وإغفال كل العلاقات الخارجية بالنص.
6. من أهم مبادئها موت المؤلف أي الاكتفاء بالنص في حدود أنساقه اللغوية دون العودة إلى مرجعيات صاحبه وأن المؤلف يُعد غير موجود بالنسبة لهم فهو خارج نطاق العملية الأدبية.

1. صالح هويدي، المناهج النقدية الحديثة، أسئلة ومقاربات، دار نينوي، ط1، دمشق،2015، ص 111 [↑](#footnote-ref-1)
2. المرجع نفسه، ص ص 123، 124 [↑](#footnote-ref-2)
3. ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص 72 [↑](#footnote-ref-3)
4. بسام قطوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ص 86ن 87 [↑](#footnote-ref-4)
5. ميغان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص36 [↑](#footnote-ref-5)
6. ينظر كمال رايس، من الشكلانية إلى البنيوية، ص 17 [↑](#footnote-ref-6)
7. صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1996 ، 52 [↑](#footnote-ref-7)
8. ميغان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص37 [↑](#footnote-ref-8)
9. ينظر، زكريا براهيم، مشكلة البنية، مصر الفجالة، 1976، ص 30،31 [↑](#footnote-ref-9)
10. ينظر، البنيويةـ تر: عارف سمية و بشير أوبدي، منشورات عويدات، بيروت، ط2 ، ص13 [↑](#footnote-ref-10)
11. ينظر، زكريا براهيم، مشكلة البنية، ص 31 [↑](#footnote-ref-11)
12. صلاح فضل، مناهج المقد المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر 1996، ص 35 [↑](#footnote-ref-12)
13. زكريا براهيم، مشكلة البنية، ص 37 [↑](#footnote-ref-13)
14. بسام قطوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ص 127 [↑](#footnote-ref-14)
15. ميغان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص31 [↑](#footnote-ref-15)
16. ميغان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي ص 37، 38 [↑](#footnote-ref-16)
17. ميغان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص31 [↑](#footnote-ref-17)
18. فيرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، تر: يوسف غازي، مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986، ص89 [↑](#footnote-ref-18)
19. ينظر، عبد السلام المسدي، الاسلوبية والسلوب، الدار العربية للكتاب، ط 2، 1982، ص129 [↑](#footnote-ref-19)
20. عبد الله براهيم، معرفة الآخر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 1996، ص 45 [↑](#footnote-ref-20)
21. البشير حادي، الأدب في المناهج النقدية الحديثة، مخطوط بمعهد اللغة العربية، جامعة وهران، 1993، ص 216 [↑](#footnote-ref-21)
22. ينظر، البشير حادي، الأدب في المناهج النقدية الحديثة، مخطوط بمعهد اللغة العربية، جامعة وهران، 1993، ص 216 [↑](#footnote-ref-22)